



محمد عاكف أرصوي شاعراً تركياً (*)

قد بينت في ترجمة شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي حالة تركيا في أواخر الخلافة العثمانية، وكيف تمألاً عليها الأعداء والشامتون والمتريصون، وكيف توالى عليها الماسونيون من جمعية الاتحاد والترقي، ثم خلفهم الكماليون. وكان لليهود يد طويلة في كل ذلك، ثم ألغيت السلطنة سنة ١٩٢٢م، فالخلافة سنة ١٩٢٤م، وأعلنت تركيا جمهورية علمانية ملحدة، وقطعت صلتها بالإسلام وسائر المسلمين تماماً. فصار المسلمون في تركيا وخارجها كالشياه بلاراع في الليلة المطيرة المظلمة، وأنا لله وأنا إليه راجعون، ولم يكن في العالم الإسلامي آنذاك قوة تستطيع قيادة الجموع المسلمة ولا إرشادها. وفي الوقت نفسه حارب علماء الإسلام ودعائه والمخلصون في تركيا حرباً شعواء لا تبقى ولا تذر، وعُلق الآلاف على أعواد المشاقق، وكلج وجه تركيا، وأدارت ظهرها تماماً للإسلام والمسلمين، وفي ذلك الوقت فر جماعة من هذا البطش الكافر والهجوم السافر، فروا إلى مصر، كان بينهم علماء مثل شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي، ووكيل المشيخة الإسلامية محمد زاهد الكوثري، وفرفيم من فر الأديب الشاعر محمد عاكف أرصوي، فوجدوا في مصر ملاذاً وملجأً آمناً.



د. محمد موسى الشريف - السعودية

يفترف من مصادر الإسلام، فحفظ القرآن وهو ما زال بعد في التاسعة من عمره، على يد إمام جامع الفاتح، ودرس الحديث، واللغة العربية، ودرس أيضاً الفارسية والفرنسية. وبعد تخرجه في مدرسة البيطرة دار في الأناضول والبلقان وسوريا والجزيرة العربية، واقترب من الناس فعرف أحوالهم، وسير شؤونهم، ثم

ولد الشاعر محمد عاكف في إسطنبول سنة ١٨٧٣م، من أب تركي يسمى محمد طاهر وأم بخارية تدعى أمينة هانم، وتعلم العربية على والده الذي كان مدرساً في مدرسة الفاتح، ودرس الابتدائية والمتوسطة، ثم لما مات والده درس في مدرسة البيطرة، وتخرج فيها سنة ١٨٩٣م، ليعمل مفتشاً في وزارة الزراعة، ولم ينس أن



(*) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٨٢٥، ٣-٩ ذي القعدة ١٤٢٩هـ. الموافق ١-٧ نوفمبر ٢٠٠٨م.

لخوض الانتخابات مرة أخرى؛
ويبدو أن هذا كان بسبب اتجاهه
الإسلامي الظاهر.
ولما ألفى مصطفى كمال
السلطنة فالخلافة، ونكّل بالشعب
التركي كل التنكيل صُدم عاكف
صدمة بالغة، وذلك لأنه كان يدعو
إلى الوحدة الإسلامية في أشعاره
وكتابات، قرأ ذلك قد ذهب أدراج
الرياح، ورأى أن التركي المسكين

البرلمان التركي ليكون نشيداً
رسمياً لتركيا في ١٢ مارس سنة
١٩٢١م، وكان هناك سبع مئة
متسابق قدموا أناشيدهم قبله فلم
يفز أي منهم، ومما جاء في هذا
النشيد:

**«أنت ابن شهيد حذار من أن
تؤذي أباك.»**

**لا تتخل عن هذا الوطن الجنة
وان امتلكت العوالم.**

صار مدرساً في إسطنبول سنة
١٩٠٦-١٩٠٧، وبعد إعلان الحكم
الدستوري سنة ١٩٠٨ شارك في
إصدار مجلة «الصراط المستقيم»،
ونشر فيها أكثر أعماله الأدبية
والفكرية. وفي السنة نفسها عُيّن
مدرساً للأدب في دار الفنون
«جامعة إسطنبول»، وأسند إليه
تدريس الأدب العربي وأصول
الترجمة بين العربية والتركية.

انتسب إلى جمعية الاتحاد
والترقي التي خدعته بشعاراتها،
فلما وقف على حقيقتها فترت
علاقته بها فتوراً بيناً، وعارض
أفكار ضياء آلب الذي كان بمثابة
الأب الروحي لتلك الجمعية
المشبوّهة.

وفي سنة ١٩١٥م، زار ألمانيا في
مهمة من قبل الدولة فبقي في برلين
ثلاثة أشهر، ورأى هنالك أسرى
للمسلمين تابعين للدولة الروسية
والإنجليزية فتفقد شؤونهم، ثم
عاد إلى بلاده.

ولما هزمت الدولة العثمانية
في الحرب العالمية الأولى، ودخل
الحلفاء تركيا شارك في تحرير
بلاد بقصائد شعرية ملهية،
وانتخب بعد ذلك في مجلس النواب
في دورته ١٩٢٠-١٩٢٣م، مهتلاً
عن محافظته، وفي تلك السنوات
كتب نشيد الاستقلال الذي أقره



كان يُعَدَم من أجل إصراره على
الطربوش ورفضه القبعة، ورأى
الإسلام يحارب حرباً شعواء، فلما
وقف على ذلك كله أثر الخروج من
تركيا، فيمّم وجهه شطر مصر، التي
زارها من قبل مرتين مدعواً من قبل
صديقه الأمير عباس حليم باشا،
سنتي ١٩١٤م، ١٩٢٤م، ووصلها في
المرّة الثالثة سنة ١٩٢٥م.

**أيها الهلال الجميل لن تُمزق
سأفديك بنفسي....»**

إلى آخر ما جاء في النشيد
الذي رده ويردده مئات الملايين
من الأتراك منذ قرابة تسعين سنة
إلى يومنا هذا.

ثم لما انتهت مدته في مجلس
النواب عاد إلى إسطنبول من
أنقرة، ولم يُدع من الحزب الحاكم



وتوطدت صلته فيها بالأديب المصري عبد الوهاب عزام الذي مهد له الطريق إلى تدريس اللغة التركية في جامعة فؤاد: «القاهرة»، وهياً له الصلة بمثقفي مصر. لكنه عانى في مصر من زوجه التي أصبحت حادة المزاج، وعانى من الفقر والوحدة، وعانى كثيراً من غربته، وفي سنة ١٩٣٥م - بعد عشر سنوات من إقامته بمصر - غادرها إلى لبنان للاستجمام، ومن ثم إلى إسطنبول ليموت بها في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٦م.

وكان محرر مجلة «يدي كون» التركية الأستاذ



محمد عاكف أرسوي مع ابنه محمد أمين

قديمير قد اجتمع بالأستاذ في المستشفى، واليكم أهم ما دار بينهما من الحديث الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد يلماز مدرس اللغة العربية بكلية الإلهيات بجامعة أولوداغ التركية:

■ استغرق السفر من مصر إلى هنا ثلاث ليالٍ غير أنها كانت بالنسبة لي ثلاثين قرناً، أمضيت هناك أحد عشر عاماً إلا أنني شعرت في لحظة من اللحظات أنني لو بقيت هناك أحد عشر يوماً أخرى لجنّ جنوني.

■ الشوق؟

■ مؤلم جداً.

■ طيب، ماذا عن فرحة اللقاء؟

■ لا تسألني عن ذلك يا بني! فأنا لا أجرؤ على

طرح السؤال حتى على نفسي، لكنني مع الأسف الشديد وجدت نفسي على هذا السرير بمجرد ما خرجت من الباخرة، فلم أتمكن من مشاهدة أي شيء.

ثم تحدثت عن أيام الجهاد ضد الكفار الذين وطئوا أرض تركيا في الحرب العالمية الأولى فقال:

■ غادرت إسطنبول حيث أقلتنا سيارة من أسكدار

إلى قرية لا أذكر اسمها في الوقت الحالي... كنا

نستقل في رحلتنا تارة عربية تجرها الثيران، وأخرى

تجرها الأحصنة حتى وصلنا إلى أنقرة... كانت

تلك الأيام ما أشد هياجها خصوصاً يوم سقطت

بورصة!... لكننا لم نفقد ثقتنا ولو يوماً واحداً، ولم

نسمح لليأس أن يتسرب إلى قلوبنا أبداً، فهل كان

هناك مناص أماناً غير الجد؟

لم نكن نمتلك مدافع ولا بنادق، لكننا كنا نمتلك

إيماننا الراسخ في قلوبنا، والحمد لله.

■ كيف قمتم بكتابة نشيد الاستقلال؟

■ حقاً إنما يكتب هذا الكلام بالإيمان والأمة

المؤمنة فقط، فكروا معي قليلاً: هل كان بإمكانني

أن أكتب كل هذا لو لم أمتلك الإيمان الراسخ

وقتذاك؟... ولا بد لي أن ألفت الانتباه إلى أنه لا قيمة

لنشيد الاستقلال على اعتبار أنه مجرد شعر، وإنما

تكمن قيمته في كونه أنه يعكس صفحة من صفحات

تاريخنا بما فيها من آلام.

■ وماذا عن النصر العظيم؟

■ كنا في فرحة غامرة.

■ ألم تقوموا بكتابة شيء ما عند ذلك؟

■ نفذت كل طاقاتي في تلك اللحظات، فلم أعد

غير العودة مجدداً لحمل السلاح والعمل على صد حملات أهل الصليب في حضارة القرن العشرين».

وكتب منتقداً القومية التي شاعت في تركيا آنذاك: «يا جماعة المسلمين: أنتم لستم بعرب، ولا ترك، ولا بلقانيين، ولا أكراد، ولا قوقازيين، ولا شركس، أنتم فقط عبارة عن أفراد في أمة واحدة هي الأمة الإسلامية، وكلما حافظتم على الإسلامية لم تفقدوا قومياتكم».

وقد شغف في صدر شبابه بالشاعر الفارسي سعدي الشيرازي، وترجم أكثر شعره إلى التركية، وأعجب بالشاعر المصري ابن الفارض؛ ولعله لم يتنبه لما في بعض شعره من ضلالات، وذلك لأنه - أي عاكفاً - لم يكن متضلعا من العلوم الشرعية، والله أعلم.

وأما شعره فمجموع في دواوين سبعة ما زالت تروج بين الأتراك، وقد أبصر ديوانه الأول النور سنة ١٩١١م، وسماه بـ«صفحات»، وفي سنة ١٩١٢م؛ صدر ديوانه الثاني بعنوان «في منبر السليمانية»، جمع فيه مقطوعات من شعره الديني والأخلاقي، وفي سنة ١٩١٣م، صدر ديوانه الثالث «أصوات الحق» الذي حوى إشارات في

تفسير القرآن العظيم وبيان بعض الأحاديث الشريفة، وفي سنة ١٩١٤ صدر ديوانه الرابع «في منبر الفاتح» الذي أورد فيه شعره عن ثورات البلقان ضد الأتراك ونتائجها السيئة، وفي سنة ١٩١٧م، صدر ديوانه الخامس: «الخواطر» الذي حوى شعره عن رحلته إلى

أقدر على التفكير في أي شيء، ولا على سماع أي شيء، ولا كتابة أي شيء...

■ ■ كيف قضيتم الوقت في مصر؟

■ هناك مدينة اسمها حلوان، تقع على بعد خمسة

وعشرين كيلاً من القاهرة، وهي مدينة هادئة كنت أقطنها، فأنا بطبعي إنسان هادئ لا أحب الضجيج، وكذلك في إسطنبول كنت على الحال نفسها من قبل، ففضلت العيش في مدينة حلوان لغاية ما كلفت بمهمة في دار الفنون، وفي الأيام الأخيرة حلت بالقاهرة.

■ ■ فهل أحببتكم مصر؟

■ نعم، فهناك جوانب جميلة بمصر خصوصاً في فصل الشتاء، وكذلك في فصل الصيف لم أكن أتضايق من الطقس الحار... والبيوت بنيت على طراز يتناسب مع الطقس هناك، فلا تتعدى الحرارة داخل الغرف في أشد الأيام حرارة ثمانين وعشرين أو ثلاثين درجة..

■ ■ هل تسهل عليك الكتابة؟

■ لا، أبذل مجهوداً كبيراً، وأعمل ذهني حيث أدرس الموضوع بكل تفاصيله في ذهني، وأخيراً عندما أنقله على الورق أتعب كثيراً.

من أعماله:

قد كتب عاكف كثيراً من المقالات السياسية والأدبية في مجلته «الصرط المستقيم» والتي صار اسمها بعد ذلك «سبيل الرشاد»، ومما كتبه:

«لم يكن أمام مسلمي الأناضول التركي بعد أن رأوا حجم مصيبة الاعتداء على حرمة أراضيهم





ما يحزنهم إلا هزيمة «سيدان»، ومع ذلك فإن الرغد والرفاهية ينسيان الإنسان أنكى الجروح. والإنجليز يضحكون، وما أجدرهم بالضحك! لأن الدنيا كلها رهن إشارتهم... يؤلبون شعوب الأرض بعضها على بعض، وينظرون عن بُعد فرحين.. والألمان يضحكون لأن قوة عضدهم كفيلة بأن يصدق العالم جميع ما يقولون، وما دام البشر لا يعطي الحق إلا للقوة، فما الحيلة في الوصول إلى الحق بغير القوة؟ أضعيف أنت إذن؟ فالنحيب أولى بك، نعم في هذه الساحة من الصخب: صخب الحبور، وجلبة السرور، أنا وحدي اليأس الذي لا يبتسم، قد أخذت أبكي، وما أجدرني بالبكاء! فأنا كالغريب من ديار ديني... هذه السهول لا ترجع حديثي، أيها الشرق العظيم، أيها العالم المترامي الأطراف: ليت شعري في أي بقعة من بقاعك نجد أبناءك السعداء؟ إن رأسك تترج تحت الشدائد، وعضدك واه، وذراعيك مغلولتان، ولما يهب نسيم الاستقلال على قلبك بعد، قد طفت في أرجائك كلها لأرى أمامي داراً للإسلام فكّلت قدماي. وكلما تناهت إلي من سبيلي أصوات الأجانب لم تفض روحي الباكية إلا بخيبة الأمل، فهل كان نصيبي أن أكون غريباً في قلب الإسلام؟ إن هذه العاقبة لأقصى انتقام للأيام، والآن.. وقد تقدمت بي السنون، ووهت قدماي، فعلى بني أن يجاهدوا ويأخذوا بثأري..»

وفي كلامه تشاؤم، لكن أنى لمثله أن يتفاعل وهو يرى الأكثرية الساحقة من ديار الإسلام آنذاك محتلة ومسحوقة، وهو يرى أكثر المسلمين آنذاك في صدّ عن الإسلام، وهجران لشريعته وشعائره. ومن أعماله ترجمة معاني القرآن إلى التركية، صنع ذلك في مصر أيام منفاها فيها، لكنه - على حذره

مصر وألمانيا، ثم صدر ديوانه السادس: «عاصم» سنة ١٩١٩م، الذي حوى شعره عن حرب الاستقلال، ثم صدر ديوانه السابع: «الظلال» الذي حوى أعماله من سنة ١٩١٨-١٩٢٣م.

كتب قصيدة بعنوان «من صحراء نجد إلى المدينة المنورة»، تحدث فيها عن زيارته للمدينة المنورة سنة ١٩١٤م. ومن شعره الذي ترجمه صديقه الدكتور عبد الوهاب عزام رحمهما الله تعالى:

«ما كنت لأقف معقود اللسان أقلب الطرف فيما

جامعة محمد عاكف آرسوي في مدينة بوردر



حولتي، ولم يكن لي بد أن أنوح لأوقف الإسلام، إنما أريد أن تفور القلوب المرهفة الحس، الراسخة الإيمان... إني أنوح ولكن لمن؟ أين أهل الدار؟ أقلب طرقي فلا أظفر إلا بأمم نائمة.

ومن شعره لما زار الأقصر فوجد فيه سياحاً أجانب فرنسيين وإنجليزيين وألمانيين يحتسون الخمر، ورأى أمامه آثار الفراعنة فقال:

«رأيت أمامي نحو ثلاثة عشر نفرًا من السائحين ما بين فرنسيين وإنجليز وألمان، مجتمعين زرافات ووحداناً، وللكؤوس بينهم رنين، فالفرنسيون يضحكون لأن كيسهم المملوء يهز الدنيا المدينة لهم هزاً عنيفاً، وليس في الدنيا

في الترجمة واهتمامه بها - لم يرض عن عمله هذا، فطواه ولم ينشره حتى ذهب أدراج الرياح.

أشخاص تأثر بهم:

وكان قد تأثر كثيراً بالأستاذ جمال الدين الأفغاني -

رحمه الله تعالى - ودعوته لنهذ الاستبداد، ونيل الحريات ولو بالقوة، وكان يردد آراءه وآراء تلميذه الأستاذ محمد عبده - رحمه الله تعالى، وترجم كثيراً من تلك الآراء إلى اللغة التركية، وأفرد لمقالات الأستاذ محمد فريد وجدي رحمه الله تعالى، حيزاً كبيراً من جريدته، وترجم كتاب الأستاذ فريد «المرأة المسلمة». وتأثر بالشاعر الكبير محمد إقبال وصيحاته الثائرة، وقد أخبر عنه صديقه الأديب الدكتور عبد الوهاب عزام:

«كم تحدثنا وقرأنا في سيرنا وجلوسنا في الآداب الثلاثة: العربية والفارسية والتركية، وكنت أحب أن أقرأ عليه شعره، وكان يسره أن يستمع إليه، وكانت كل أحاديثنا وقراءتنا متعة نجتمع فيها على الفكر والذوق والأمل والألم، وكان أطيّب المجالس مجلساً نضرغ فيه إلى شعر محمد إقبال، فقد عرفني رحمه الله بإقبال يوم أعارني ديوانه «بيام مشرق»، فإذا صفا الوقت عمدت إلى أحد كتب إقبال

فقراءت، واستمتع مقبلاً مستغرقاً، يقطع إنشادي في الحين بعد الحين بالاستعادة أو الاستحسان أو التعجب أو التأوّل وأذكر أننا بدأنا كتاب إقبال «أسرار خودي»، فوالينا الجلسات حتى أنهيناه إنشاداً، ثم أتبعنا به أخاه «رموز بي خودي» فختمناه على شوق إلى الإعادة.»

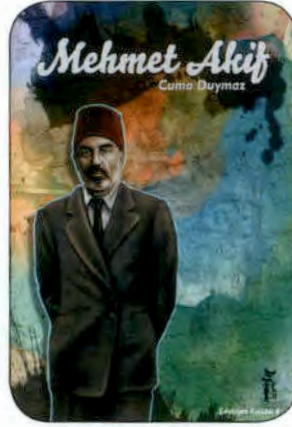
قال عنه: الأستاذ الألماني ريتشارد هرتمان:

«هومع إحاطته - على العموم - بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الإصلاحية في الدين، وما يعنيه من الرجوع إلى الإسلام يعني به الرجوع إلى الإسلام القديم لا بإبعاد الأمور التي غيرت منه أثناء تطوره التاريخي فحسب، بل أيضاً وقبل كل شيء يريد الوقوف ضد هؤلاء العصريين المندفعين في تيار الغرب، وضد دعاة المذهب القومي، فهي حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة المدنية في غير إضرار بحركة الفرد.»

ولم يكن له كبير ذكر في بلاده إلى أن قرر مجلس الأمة التركي في ٤ مايو ٢٠٠٧م قراراً باعتباره يوم ١٢ مارس من كل عام يوماً وطنياً للاحتفال رسمياً بذكرى قبول النشيد الوطني التركي، والاحتفاء بشاعره، ولعل في هذا شيئاً من التكريم وانوفاء له.

تلك كانت سيرة محمد عاكف الشاعر التركي الكبير بإيجاز، وقد عاش في مدة صعبة جداً، ولم يكن فيها للإسلام رجال يعملون له إلا القليل، فلذلك غلب على شعره

التشاؤم والبكائيات، لكن حسبه أنه حاول أن ينصر الإسلام، ويوقظ المسلمين من باب الشعر والأدب، ولعل ذلك كان أقصى ما يستطيع عمله وهو غريب نائي الدار عن وطنه وأهله، ولنسأل الله له الرحمة والغفران ■



MEHMET AKİF ERSOY

Kronolojik Hayatı

Fikir ve Edebi Birikimi

Şiirleri